لمحة تاريخية

قَدِم الشيوعيون اليهود الاوائل الى فلسطين من أقطار اوروبا مع المهاجرين اليهود، الذين بدأوا بالانتقال الى فلسطين بتحريض صهيوني لاقامة «دولة اليهود»، وهؤلاء الماركسيون كان قسم منهم انتظم، اساساً، في احزاب قائمة في بلدانهم الاصلية؛ كما كان معظمهم يعمل لاقامة اتحاد عمالي صهيوني عالمي. ولذلك قدموا الى فلسطين وهم يحملون معهم عقائدهم. وتختلف التعليلات حول الدوافع التي حدت بشيوعيين للانخراط في مشروع كالمشروع الصهيوني، مع ملاحظة ان طابع الحركة الشيوعية في تلك المرحلة (نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) هو نشاطها العالمي، حيث لم تكن الحدود بين الدول تمنع أي شيوعي من الانتقال والعمل في احزاب شيوعية اخرى غير حزب بلاده؛ لكن الملاحظ، أيضاً، في تلك المرحلة، ان الشيوعيين اليهود في روسيا (البوند) جادلوا طويلاً مع الحزب الشيوعي الروسي، كما صار اسمه لاحقاً، حول حق اليهود في تشكيل حزب خاص بهم. أمّا الامميون اليهود، من أمثال تروتسكي، على سبيل المثال، فلم يعيروا هذا الامر أي اهمية تذكر، بل ناضلوا ضده، واعتبروه انحرافاً. لذلك، وبغض النظر عن الدوافع التي دفعت أوائل الشيوعيين الى التوجه الى فلسطين، يمكن الجزم بأنهم قدموا اليها على أرضية «الهدف القومي اليهودي» في انشاء «دولة لليهود» على أرض فلسطين؛ وكان هدفهم، كما تعبّر ادبيات مفكريهم، في تلك المرحلة، ان تكون تلك الدولة اشتراكية. وبذلك، فهم يرضون نصفيهم، اليهودي والاشتراكي.

ويعتبر الحزب الشيوعي الاسرائيلي ان تاريخه التنظيمي في فلسطين بدأ في العام ١٩١٩، وحمل اسم حزب العمال الاشتراكي، واعتبر فرعاً فلسطينياً لحزب بوعالي تسيون، الذي يدعو الى تشكيل منظمة اشتراكية يهودية عالمية، وجعل هدفه تنظيم العمال اليهود بين المقيمين في فلسطين والمهاجرين اليها، واعتبر ذلك الحزب نفسه حزباً صهيونياً. وقد أعلن ي. مايرزون، في نهاية مداخلته في المؤتمر التأسيسي للحزب، «ان الصهيونية البروليتارية تربط تحقيق المثال الصهيوني بانتصار الثورة الاشتراكية؛ واعرب عن ثقته بأن الصهيونية ستتحقق كاشتراكية، والاّ فانها لن تتحقق أبداً. ولهذا، فهي ستناضل ضد كل صهيونية أخرى، البرجوازية منها او البروليتارية المتهادنة؛ فهي ترى فيها ليس أمراً غير مفيد وحسب، بل ضارّاً أيضاً»[١]. وعلّق الامين العام للحزب الشيوعي الاسرائيلي، حالياً، مائير فيلنر، على ماركسيي تلك المرحلة بالقول انهم «لم يفهموا ان هناك تناقضاً جذرياً بين الصهيونية والاشتراكية، وانه لا يمكن ان تكون اشتراكية صهيونية؛ كما انه لا يمكن ان تكون صهيونية اشتراكية؛ وان الصهيونية، في مضمونها وفي ايديولوجيتها، حركة رجعية موالية للاستعمار وللبرجوازية اليهودية»[٢].

وقد طرحت مسألة فلسطين والمشروع الصهيوني في مؤتمر الاممية الثاني في العام ١٩٢٠، بعد انتصار الثورة الروسية، حيث حضره، عن حزب العمال الاشتراكي، الذي اسلفنا ذكره، مندوب لا يعرف فلسطين ولم يكن قد زارها، بصفة مراقب. وقد طرحت مندوبة حزب البوند الروسي القضية الصهيونية كوجه من وجوه النشاط الامبريالي، قائلة: «بامكاننا ان نورد، كمثال على عملية النفاق الذي ذهبت ضحيتها الجماهير العاملة للامة المضطهدة، والتي تمارس دور الوفاق بالاتفاق التام مع بورجوازية هذه الامة نفسها، قضية [الصهيونيين] في فلسطين، الذين، وبحجة اقامة دولة يهودية مستقلة، قد اخضعوا الجماهير العربية في فلسطين لنير انكلترا، مع ان اليهود لا يشكلون سوى أقلية ضئيلة في فلسطين»[٣]. وردّ مندوب حزب العمال الاشتراكي على اطروحة مندوبة البوند «بأن الحل الجذري للمسألة اليهودية لن يتحقق الاّ من طريق نجاح المشروع الصهيوني في فلسطين. [لكنه